

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

الورد الرابع

كان نبينا الكريم ﷺ -وهو أحبّ الخلق إلى الله- تمرّ به من شدائد الحياة وخطوبها ما يضيق له صدره، ويغتم له قلبه، فيجد سلواه في ذكر الله، ويفزع إلى مولاه، ويُطفئ نار الحزن في صدره بكلمات التوحيد والتعظيم.

وحين تشوّفت النفوس لتعلّم ما كان يقوله سيّد الخاشعين ﷺ في تلك اللحظات، جاءها الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول في الكرب: **"لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم"** [متفق عليه].

وما يزال العبد يُبتلى بما كتب الله له من همّ وكرب، حتى تدلهمّ عليه الخطوب، وتُغلق الأبواب، فلا يطمع في فرج إلا من ربّ وسعت رحمته كل شيء.

فيلجأ إلى هذا الذكر النبوي، يرّده مبلوئاً بالدمع، موصولاً بالرجاء، في أحلك لحظاته، مقتدياً بسيّد البرية ﷺ، متوسّلاً إلى الله بذكر أسمائه، ومستفتئاً أبواب السماء بكلمة التوحيد.

(لا إله إلا الله) أصل التنزيهات الجلية، وأحبّ الذكر إلى الله، وبه تُستفتح أبواب الفرج، ثم يعقبه العبد بنداء الربوبية، فيقول: ربّ العرش العظيم، ورب السماوات وربّ الأرض، فإن الربّ هو الذي يُربّي عبده في البلاء كما يُربّيّه في النعم، وهو الذي يُدبّر أمره حين يتخلّى عنه الناس، ويحتضنه حين تُعرض عنه الخلائق.

وليس أصدق من هذا التضرّع حين يصدر من قلبٍ منكسر، ولا أنفع للعبد في شدته من أن يُناجي ربّه بأسمائه، ويوقن أن من قالها في الكرب، لم يُخَيّب، ومن رفع بها دعاءه، نزل عليه الفرج من حيث لا يحتسب.

ثم يثني العبد على ربه جلّ جلاله بأسمائه الحسنى فيقول: **(لا إله إلا الله العظيم)** الذي بلغ أقصى مراتب العظمة، فلا تُحيط بكنهه بصيرة، ولا يعظم عليه شيء سبحانه وتعالى، **(الحليم)** جلّ جلاله، الذي لا يحمله غيظ على استعجال العقوبة لعباده والمسارعة إلى الانتقام منهم، فيؤخر سبحانه عقابه إن شاء مع تمام قدرته عليه.

وهاتان الصفتان **(العظيم الحليم)** مثبتتان لله جلّ جلاله على ما يليق به، فعظمته تدل على تمام قدرته، وحلمه يدل على كمال علمه؛ إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهذان الوصفان هما أصل الأوصاف الإكرامية.

ثم إذا وصف العبدُ ربَّه في هذا الذكر النبوي الجليل بالعظيم الحليم، فقد جمع له بين كمال القدرة وجلال السلطان، وبين تمام الرحمة وسعة الإحسان؛ فالعظمة تقتضي كمال الجلال والكبرياء، والجلم يستلزم الرحمة والتجاوز ولطف المقادير.

ويقتر العبد بعظمته لربه بإقراره لربوبيّته جل جلاله لأعظم المخلوقات، فيقول (لا إله إلا الله رب العرش العظيم) عرشه الذي استوى عليه كما يليق بجلاله سبحانه، أعلى المخلوقات وأكبرها وأعظمها، ذلك العرش الذي وصفه صلى الله عليه وسلم بالعظمة من جهة الكمية، وبالحسن من جهة الكيفية، فلا شيء من المخلوقات يضاهيه عظمةً وحسناً.

ثم يُتبع ذلك بوصفٍ آخر يفيض بالمهابة والإجلال، فيقول: (لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)، فيُقرّ العبد بربوبية الله للعالم العلوي والسفلي، وللعرش الذي هو أعظم المخلوقات وسقفها، وما ذلك إلا تأكيد للربوبية المطلقة، التي تستلزم التوحيد الخالص، وأن لا معبود بحق سواه، ولا يُرجى، ولا يُخاف، ولا يُحب، ولا يُعظم أحدٌ غيره؛ إذ هو الرب الذي إليه المنتهى، وبه وحده يُستدفع البلاء، ويُرتجى العطاء.

وحين يتأمل العبد هذه الأوصاف الإلهية، ويرى عظمة ربّه التي تتنزّه عن كل نقص، وكمال حلمه الذي يفيض رحمة وإحساناً على عباده، تتبدّد في قلبه ظلمات الكروب، ويخبو لهيب الحزن والهمّ.

فمعرفة أسمائه ربّه وصفاته تثمر في قلبه محبةً صافية، وتعظيمًا صادقًا، وتوحيدًا خالصًا، فإذا به يأنس برّبّه، ويستبشر بلقائه، ويذوق من لذة الإيمان ما يطهر قلبه من ضيق الدنيا وأكدارها.

وما إن يُقارن العبد بين ضيق حاله وسعة هذه المعاني الربانية؛ حتى يرى في هذا الذكر الشامل لكل كمالٍ إلهي؛ أنسب ما يُقال في الشدة، وأبلغ ما يُفرّج به الكرب، إذ تخرج روحه من أسر الغمّ إلى فضاء السكينة، ومن قيد الحزن إلى بهجة القرب.

(ورد.. في أدعية الهم والحزن)

قال الطبري رحمه الله: وكان السلف يدعون بهذا الدعاء، قال أبو أيوب: كتب إليه أبو قلابة بدعاء الكرب، وأمره أن يعلمه ابنه.

ولو قال قائل: هذا ذكر لا دعاء؟ كان الجواب: أنه ذكر يستفتح به الدعاء لكشف الكرب، وقد قال ابن عيينة رحمه الله: أما علمت أن الله تعالى يقول: "من شغله ذكرى عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين؟".

اللهم انقلنا من ضيق همومنا إلى سعة فرجك ورحمتك.